ملاحظات حول التأثيرات الليبية في مقابر سهل ميسارا

للدكتور : أحمد حسن غزال

ملاحظات حول التأثيرات الليبية فى مقابر سهل ميسارا جنوب جزيرة كريت فى الالف الثالثة ق.م.

للدكتور : احمد حسن غزال (*)

قصدت بهذه الدراسة القاء مزيد من الضوء على بداية المرحلة التاريخية فى ليبيا ، وذلك من خلال دراسة الشواهد الأثرية التى تعكسها المقابر الدائرية التى انتشرت فى سهل ميسارا الواقع فى جنوب جزيرة كريت وفى مواجهه الساحل الليبى ، خلال الألف الثالثة ق.م ، خاصة وأن هذا الموضوع لم ينل بعد اهتمام الدارسين العرب . وحتى من تعرض له من الدارسين الأجانب يقع فى بعض الأخطاء وذلك نتيجة عدم فهم ، فى بعض الأحيان ، لطبيعة المقابر الليبية وتطور أشكالها ، مما أدى الى الخلط فى وجهات النظر المختلفة ، وبالتالى لم تتبلور بعد نقطة هامة وملموسة تعكس تأثيرا حضاريا للقبائل الليبية فى هذه الفترة عبر البحر المتوسط .

وتقع جزيرة كريت فى اتجاه محاذ للساحل الليبى الشرقى فى مسافة تمتد من الشرق الى الغرب يبلغ طولها ١٣٥ ميلا . وتتميز سواحلها الجنوبية المطلة على البحر المتوسط بعدد من المرافىء والموانىء الصغيرة التى لا تبعد كثيرا عن الساحل الليبى ، اذ أن المسافة بين رأس كريو (Krio) على شاطىء كريت ، ودرنة على الشاطىء الليبى تصل الى حوالى ١٥٠ ميلا . كما أن الزوارق الصغيرة كانت تبحر الى وقت قريب من ميناء كومو Komo لصيد الاسفنج عند الساحل الليبى حيث يوجد عدد من الموانىء

(*) استاذ الآثار اليونانية الرومانية المساعد ـ كلية الأداب ـ جامعة بنغازى

الصغيرة مثل ميناء درنة ، وخليج بومبة ، ومرسى طبرق ، وميناء بردية وغيرها ، وكلها موانىء تقع مباشرة فى مواجهة الساحل الجنوبى لجزيرة كريت . ويعتقد أوريك بيتس أن الملاحة كانت سهلة وميسورة بين كريت وليبيا وذلك منذ عصر الدولة القديمة (١) (٢٧٨٠ ــ ٢٢٨٠ ق.م) .

ومع مطلع القرن العشرين كشفت الحفريات الأثرية عن عدد من المقابر فى جنوب الجزيرة ، فى سهل ميسارا . وتأخذ هذه المقابر فى تخطيطها شكلا دائريا ، وتتنوع فى اتساعها وعلو جدرانها ، وتتنوع أيضا فى طريقة تشييدها ، وترجع كلها الى العصر المينوى الاول (٢٨٠٠ ــ ٢٠٠٠ ق.م)(٢) (شكل ١) .

ومنذ أن قدم أوريك بيتس دراسته عن المقابر الدائرية التى اكتشفت فى النوبة ، على أرض النيل ، والتى أطلق عليها «المجموعة ج (C. Group) وجد فيها بعض المتخصصين أساسا انطلقت منه المقابر الدائرية التى اكتشفت فى سهل ميسارا (٣) . وقد اكتشفت مقابر « المجموعة ج » فى المنطقة بين

---

(١) Oric Bates, **The Eastern Libyans** (1912), pp. 18-19, note 1 on page 19.

(٢) اقترح سير آرثر ايفانس فى مؤتمر الآثار الذى عقد فى اثينا عام ١٩٠٥ ، تقسيم الحضارة الكريتية الى فترات متتابعة اعتمادا على تطور زخرفة الاوانى الفخارية . واطلق عليها اسم الحضارة المينوية نسبة الى مينوس (Minos) الملك الأسطورى لكنسوس ، والذى ورد اسمه فى الأساطير الإغريقية . وانتهى الأمر الى تقسيم هذه الحضارة الى ثلاثة عصور وهى : ١ ــ العصر المبنوى الاول (٢٨٠٠ ــ ٢٠٠٠ ق.م.) ، ٢ ــ العصر المينوى الوسيط (٢٠٠٠ ــ ١٥٥٠ ق.م.) ٣ ــ العصر المينوى الإخير (١٥٥٠ ــ ١١٠٠ ق.م.) انظر :
Pierre Demargne, **Aegean Art, the Origins of Greek Art** (1964), pp. 10 - 11.

(٣) كان سير آرثر ايفانس اول من شد انتباه المتخصصين الى اهمية هذا الترابط بين مقابر ميسارا والمقابر التى انتشرت فى شمال أفريقيا وتبعه عدد آخر من العلماء انظر :
Arther Evans, **The Palace of Minos at Knossos**, Vol. II (New York 1964) pp. 34 - 39, fig. 17.

الشلال الأول والشلال الثانى ، وتمتد لفترة من حـوالى نهـاية الأسرة السادسة وحتى الأسرة الثانية عشرة .

وتتميز هذه المقابر من الناحية المعمارية بجدرانها الـدائرية ، التـى شيدت من الأحجار المرصوصة ، وفى المساحة التى تحيط بها تلك الجدران، كان يحفر القبر الدائرى أو البيضاوى الشكل ، وهو عبارة عـن حفرة عميقة تغطى بلوحات حجرية بعد اتمام عملية الدفن ، ثم تهال عليها الأتربة والأحجار الصغيرة فتبدو فى شكل كومة صغيرة تصون القبر وتوفر لـه أسباب الحماية (شكل ٢) . وقد لوحظ أن هذه القبور اتخـذت شكلا مستطيلا فى وقت متأخر . ويرى أوريك بيتس أن ذلك انما يرجع الـى التزايد الملحوظ للعنصر الزنجى فى نهاية عصر الدولة الحديثة ، حيث كانت قبورهم تأخذ الشكل المستطيل بصفة عامة . وعلى الجانب الشرقى أو الجنوبى الشرقى للحائط الدائرى كانت تقام بصفة منتظمة حجرة مستطيلة الشكل صغيرة الحجم (٤) .

وبدارسة طريقة الدفن فى هذه المقابر ثبت أنها لا تخص المصريين وانما تخص شعوبا كانت تتجول فى مصر من منطقة الى أخرى . ويتبين كذلك عن دراسة تحليلية لجماجم الموتى وعادات الدفن ، ان تلك المقابر كانت لتجمعات ليبية عاشت فى النوبة الوسطى ، وكانت تنتشر فى بلاد النوبـة وكل شمال أفريقيا حتى الجزائر (٥) .

وقد شهدت المقابر الدائرية المناظرة « للمجموعة ج » فى شمال أفريقيا تطورا فى تصميمها المعمارى ، ولكنها حافظت دائما على تخطيطها الأساسى، وهو الشكل الدائرى الذى يحيط بالقبور المحفورة المغطاة بأكوام مـن

---

(٤) O. Bates, Op. Cit., pp. 245 - 252.

(٥) Ibid., p. 246, pl XI.

الحجارة والأتربة تسمى بالرجام (٦) ، وذلك حتى نهاية العصر الرومانى .

ويمكننا متابعة هذا التطور فى التصميم المعمارى من خلال بعض المقابر التى تنتشر فى شمال أفريقيا ، وخاصة فى ليبيا والجزائر ، حيث نجد نماذج لمقابر تبرز دلالات هامة ، فمن قبور منحوتة مغطاة بكومات من الأتربة الى مقابر ذات شكل هرمى ضخم ، بنيت من الحجر (٧) . وتنتمى الى النوع الأول مقبرة عثر عليها فى مسة بتورينائية (برقة) (شكل ١٢) وترجع الى بداية القرن السادس ق.م (٨أ) ، ومع مرور الزمن يصل هذا التطور الى قمته فى مقبرتين نوميديتين : احداهما ، وتدعى (Tombeau de la Chrétienne) فى منطقة تيبازا غرب مدينة الجزائر ، حيث أخذت الشكل الهرمى الضخم الذى بنى كله من الأحجار المنتظمة المصفوفة فوق حجرة الدفن (شكل ١٣) . والثانية ، وهى مقبرة ميدراسن (Medrasen) فى منطقة الأوراس ، ولا تقل عن المقبرة الأولى ضخامة فى شكلها الهرمى (٨ب) (شكل ١٤) . وقد شهد هذا النوع من المقابر اضافات معمارية كلاسيكية بالنسبة للجدران المحيطة والمداخل ، مما حدا

---

(٦) يطلق على هذا الشكل فى شمال افريقيا رجم (Régem) وجمعها رجام (Régam) وهى كلمة عربية تعنى اكوام الحجارة التى تنصب على القبر . انظر ايضا :

(٧) O. Bates, Op. Cit., p. 247, note 1.

O. Bates, Loc. Cit.

(٨ أ) S. Stucchi, «Latomba a tumulo presso Messa in Cirenaica» Libya Anitiqua, Vol. 1 (1964) pp. 127-131.

وهو يعتقد أنها مقبرة اغريقية ، ولكنها تحتفظ بأصالتها الإفريقية ولها امثلة مناظرة كما نقدم فى هذه الدراسة .

(٨ب) O. Bates, Op. Cit., p. 247.

أنظر أيضا : الضريح الملكى الموريطانى ، تأليف منير بوشناقى وتصويب عبد الحميد حاجيات ، منشورات مديرية الشؤون الثقافية ، الجزائر ، ١٩٧٠ .

بعض الأثريين على الإعتقاد بأنها إغريقية (٩)، ولكنها فى الواقع ، انها فى جوهرها استمرارا للتخطيط التقليدى الذى قدمناه من النوبة الوسطى ، رغم أنها ترجع الى بداية القرن الأول الميلادى .

وهناك أمثلة أخرى من المقابر الدائرية ، التى بقيت تحتفظ بأصالتها الافريقية أيضا فى الجزائر ، ولكنها أقل حجما . واكتشفت احدى هـذه المقابر فى عين سفرة (Ayn Safreh) ، ويصل اتساع قطرها الى ثمانية أمتار ، وارتفاع الجدار المحيط يصل فى ارتفاعه الى ٢٫٢٠ مترا ، ويغطى القبر فى الوسط بكومة شيدت من ركام الحجارة فى شكل متدرج ويلاحظ فى هذه المقبرة أن القبر حفر حتى نصفه فى التربة ، والنصف الأعلى شيد من الحجارة المرصوصة ، ويصل اتساع قطره الى متر واحد ، أما اللوحات الحجرية التى تغطيه فهى فى ارتفاع مستوى الارضية (شكل ٣) (١٠) ، وينتشر هذا النوع من المقابر بصفة عامة فى الجزائر (شكل ٤) .

وأخيرا ينتمى الى هذا النوع من المقابر أيضا مقابر جزيرة المـراكب (Seal Island) وهى وان كانت تنتمى الى نهاية العصر الرومانى ، الا أنها حافظت أيضا على التقليد الليبى الموروث للشكل الدائرى ، وان كانت تبرز بعض الاختلافات عن « المجموعة ج » حيث نجد أن توجيه الحجرات الاضافية فيها نحو الجنوب ، كذلك لا توجد قبور محفورة فى وسـطها ويرجع ذلك الى طبيعة الأرض الصخرية (شكل ٥) (١١) .

تلك هى العناصر الأساسية للمقابر الليبية التى حافظت عليها طوال رحلتها التاريخية . وكان سير آرثر ايفاس أول من شد انتباه المتخصصين

---

(٩) A. W. Lawrence, Greek Architecture (1962), pp. 188-189, pls. 93, 94.

(١٠) O. Bates, Op. Cit., p. 247, fig. 19, note 2.

(١١) Ibid., pp. 247-248, fig. 93, a-c.

وانظر ايضـا :

Theresa H. Carter, Reconnaissance in Cyrenaica, **Expedition**, Spring 1963, p. 26.

فى الحضارة الايجية الى أن هذه المقابر فى شمال أفريقيا كانت الأساس الذى تأثرت به مقابر سهل ميسارا جنوب جزيرة كريت التى ترجع الى الألف الثالثة ق٠م (١٢) ٠ وقد ساندە فى رأيه كل من كسانثوديدس (١٣) وبندلبرى (١٤) ثم أخيرا أليكسيو (١٥) ٠ ولكن هذه النظرية تعرضت أخيرا لهجوم عنيف من برانيجان (١٦) وكان قد سبقه الى ذلك كل من باتتى (١٧) وهود (١٨) ، ونتج عن ذلك خلط فى وجهات النظر يوحى بعدم الأخذ بنظرية ايفانس ومؤيديه ٠

وتتلخص وجهة نظر برانيجان فى القول بأن المقابر الليبية لا يجوز أن يطلق عليها الاصطلاح الاغريقى (Tholoi) (١٩) لانها لم تأخذ هذا الشكل المعمارى الذى يحتمل أن مقابر ميسارا قد أخذته ٠ ذلك أن (Tholoi) يقصد بها المقابر الدائرية التى شيدت على شكل حجرات دائرية مكتملة البناء ، مقببة السقوف ، والتى ترجع الى الجزء الأخير من العصر البرنزى فى شبه جزيرة اليونان (١٥٠٠ ــ ١١٠٠ ق٠م) (٢٠) ٠

---

(١٢) انظر الملاحظة رقم ٣ ٠

(١٣) S. Xanthoudides, **The Vaulted Tombs of Mesara** (1924), p. 128.

(١٤) J. D. S. Pandlebury, **The Archaeology of Crete** (1939), p. 74.

(١٥) S. Alexiou, **Dinoan Civilization** (1973), p. 17.

(١٦) K. Branigan, **The Tombs of Mesara** (1970) pp. 142-143.

(١٧) L. Banti, «La Grande Tomba a Tholos di Hagia Triado», **Annuario** 13-14 (1933) pp. 244-245.

(١٨) M. S. F. Hood, «Tholos Tombs of the Aegean», **Antiquity** 34 (1960) p. 173.

(١٩) K. Branigan, Op. Cit., pp. 142-143.

(٢٠) Ibid., p. XV.

انظر ايضا :

D. S. Robertson, **Greek and Roman Architecture**, (1971) p. 382.

ويرى أن من احسن الامثلة التى يطلق عليها الاصطلاح « Tholos » (وجمعها Tholoi) ، هو :

The Treasury of Atreus, Mycenai,

وترجع الى الفترة الموكينية الاخيرة ١٤٢٥ ــ ١١٠٠ ق٠م٠

فى الواقع عندما وصف أوريك بيتس مقابر « المجموعة ج » لم يذكر هذا الاصطلاح ، وانما وصف هذه المقابر بدقة وقال انها جدران دائرية تضم فى وسطها قبورا مغطاة بركامات الأتربة والحجارة التى أخذت شكل الكومة ، ثم تعرض لتطور هذه الركامات فى شمال أفريقيا حتى أخذت الشكل الهرمى الضخم ونفذت فى شكل كلاسيكى مع احتفاظها بأصلها الافريقى (٢١) ، وكان سير آرثر ايفانس ، الذى نقل عن أوريك بيتس ، هو الذى أضاف من عنده هذا الاصطلاح المعمارى (Tholos) (٢٢) .

ويبدو لى أن سير آرثر ايفانس كان مشدودا الى الشكل التخطيطى الدائرى لمقابر جزيرة المراكب فى خليج بومبه ، لأن أوريك بيتس يرى فيها التقاليد الليبية فى طريقة الدفن والجدار الدائرى المحيط ، ولهذا أعطاها هذا الوصف (Tholos) بل أطلقه أيضا على مقابر « المجموعة ج » ثم اتضحت وجهة نظره عندما ذكر أن الشكل (Tholos) قد اختفى نتيجة التطور الأخير فى مقابر الجزائر وأصبح القبر مجرد تل وسط جدار دائرى ، وأن ذلك برز بشكل واضح فى مقبرتى (Tombeau de la Chrétienne) وميدراسن (Medrasen) ، وهما يرجعان الى بداية القرن الأول الميلادى (٢٣) . ويرى ايفانس أيضا أن المقابر الأولى التى

---

(٢١) O. Bates, Op. Cit., pp. 246-247.

(٢٢) A. Evans, Op. Cit., pp. 37-39.

(٢٣) Ibid., pp. 38-39.

وانظر ايضا : A. W. Lawrence, Op. Cit., pp. 188-189

حيث يرى ان هذه المقابر ترجع الى بداية القرن الاول الميلادى ، وان يوبا الثانى (Juba 2) دفن فى المقبرة التى تدعى « Tombeau de la Chrétienne » التى تقع على تل تيبازا (Tipasa) بالقرب من شرشيل (Cherchel) التى بدأ بناؤها فى ٢٥ م . أما مقبرة ميدراسن (Medrasen) فتنسب الى يوبا الاول (Juba 1) الذى توفى عام ٤٦ م .

أطلق عليها هذا الاصطلاح جاءت فى الواقع تقليدا للأكواخ الليبية الدائرية التى وصفها الرومان بالماباليا (Mapalia) (شكل ١١) وكانت فى شكل (Tholos) (٢٤) .

يتضح من ذلك أن ايفانس عندما وصف المقابر الليبية بالاصطلاح (Tholos) لم يكن يعنى تلك الركامات الهرمية أو الكومات الصغيرة الموجودة فوق القبور ، وانما يعنى الجدران الدائرية التى تحيط بهذه الركامات الصغيرة . وهكذا يبدو أنه تصور أن هذه الجدران الدائرية كانت مكتملة البناء حيث يأخذ السقف فيها بالضرورة الشكل المقبب (Tholos) خاصة وأنه يعتقد أنها جاءت تقليدا للأكواخ الليبية « ماباليا » كما ذكرت .

ولكن برانيجان فسر خطأ وجهة نظر ايفانس عندما اعتقد أن المقصود بكلمة (Tholoi) هى الركامات التى تغطى القبور وسط الجدران الدائرية ، وبالتالى وصفها بأنها دائرية بقمم مسطحة شيدت فوق قبور صنعت من قبل ،

(They were circular, but flat - topped, Cairns, which erected above graves already made).

وبهذا رفض وصفها بالكلمة (Tholos) ، ويرى أنه لا علاقة لها بمقابر ميسارا (٢٥) .

فى الواقع أن كسانثوديديس كان أول من افترض أن مقابر ميسارا لا بد أنها كانت مكتملة البناء عند تشييدها ، وأنها كانت تنتهى بسقف مقبب ، أى أنها مقابر دائرية من النوع الذى يطلق عليه الاصطلاح المعمارى

---

(٢٤) A. Evans, Op. Cit., p. 39, note 2.

وعن الماباليا واشكالها وتطورها فى شمال افريقيا ، انظر :

(٢٥) O. Bates, Op. Cit., pp. 169-170. figs 73-74.
K. Branigan, Op. Cit., 142-143.

(Tholos) (٢٦) ، واستشهد ببعض المقابر التى وجد بداخلها كمية من قطع الحجارة والمونة الكافية التى تفيد بانهيارها داخل المقابر مع مرور الزمن ، كذلك لاحظ الارتفاع غير العادى بالنسبة للجدران المتبقية ، ويرى أنها جميعا عناصر ضرورية لاقامة السقف المقبب (٢٧) .

وبالرغم من أن هذه النظرية تعرضت لهجوم عنيف من بعض الأثريين (٢٨) ، الا أن بعضهم الآخر ساندها وذلك بناء على حفريات لمقابر اكتشفوها فى مناطق كاميلارى (شكل ٦) (٢٩) ولبينا (شكل ٧) (٣٠) وميرسينى (٣١) فى سهل ميسارا ، ولكن أحدا منهم لم يقدم دليلا واحدا على وجود مقبرة اكتملت فيها كل عناصرها المعمارية حتى تتأكد نظرية كسانثوديديس تماما من الناحية العلمية . ومع ذلك فان هذه النظرية شاعت وأخذ الكثيرون بها (٣٢) ، حتى أنه عندما تتكشف الجدران الدائرية فان ذلك يوحى دائما بأنها كانت مكتملة وأنها أخذت الشكل المقبب (Tholos) وهذا ما تصوره ايفانس بالنسبة للمقابر الليبية فى شمال أفريقيا والنوبة الوسطى .

وهذه المقابر الدائرية التى أثارت انتباه المتخصصين يتراوح اتساع القطر فيها من مترين ونصف الى ١٣ مترا ، ويصل أقصى ارتفاع للجدران المتبقية فى بعض المقابر الى ثلاثة أمتار أو أكثر قليلا وذلك بالنسبة لمقابر

---

(٢٦) S. Xanthoudides, Op. Cit., pp. 4, 91, 128.

(٢٧) K. Branigan, Op. Cit., p. 46.

(1959) p. 79.

J. D. S. Pendlebury, Op. Cit., p. 64 ; R. W. Hutchinson, Prehistoric Crete (1962), p. 152 ; S. Marinatos, Kemty Kai Muky Vaikn

(٢٨) الذين يعارضون كسانثوديديس فى نظريته هم :

(٢٩) D. Levi, «La Tomba a Tholos di Kamilari Presso a Festos», Annuaris 39-40 (1962) p. 104 jj.

S. Alexiou, Op. Cit., p. 17, fig. 1.

G. Maux, Chron. ques des Fouilles en 1959, BCH, 84 (1960) p. 821.

K. Branigan, Op. Cot., p. 37.

ميسارا (٣٣) . وهى تتباين أيضا فى طريقة بنائها من مقبرة الـى أخرى ، ولكنها جميعا تعكس تطورا معماريا ملموسا سواء فى طريقة البناء أو تشييد المداخل (٣٤) . أما بالنسبة لشمال أفريقيا فان بعض مقابرها الدائرية ذات اتساع ملحوظ أيضا إذ يتراوح بين ٨ الى ١٠ مترا ، وقد شيدت الجدران من الأحجار المرصوصة أحيانا والمبنية أحيانا أخرى ، ومقبرة عين سفرة فى الجزائر يصل اتساع قطرها الى ثمانية أمتار ، أما ارتفاع الجدار فيصل الى ٢٠ر٢ مترا (٣٥) .

وفى اعتقادنا أن طبيعة المقابر الليبية توحى بأن الجدارن الدائرية فيها كانت مجرد سياج حول القبور المحفورة وسطها والتى تغطى بركامات من الأتربة والحجارة ، وبمرور الزمن تطورت هذه الركامات ، ونالت اهتماما كبيرا ، وبنيت كليا من الحجارة المرصوصة أفقيا فوق القبر ، وأخذت شكلا هرميا لا يمكن وصفه بالكلمة الاغريقية (Tymbos) التى تعنى حجـرة دائرية اكتمل بناء جدرانها وأخذ سقفها شكلا مقببا . وهذا لم يحدث فى المقابر الليبية حتى بعد اكتمال تطورها فى عصور لاحقة ، أى فى بدايـة القرن الأول الميلادى ، حيث نجد أن القبر أو حتى حجرة الدفن قد غطيت كليا كما ذكرت بالحجارة المرصوصة المبنية والتى يتدرج ارتفاعها حتى تأخذ الشكل الهرمى . وهى بهذا تقترب بمـا يمكن أن نسـميه بالاغريقيـة (Tholos) وهى تعنى كومة من الأتربة والحجارة فوق القبر ، وتعنـى باللاتينيـة (Tumulus) كما وصفها أوريك بيتس (٣٦) .

يتضح من ذلك أنه يوجد اختلاف فى طريقة تشييد هذه المقابر ، فهى فى ميسارا حجرات دائرية لم يثبت بعد بصفة مؤكدة اكتمالها حتى يطلق

---

(٣٣) Ibid., pp. 38 - 39.
(٣٤) K. Branigan, Loc. Cit.
(٣٥) O. Bates, Op. Cit., p. 247, note 2.
(٣٦) Ibid., p. 247.

عليها علميا الوصف (Tholos) . وهى فى شمال أفريقيا لا يمكن وصفها أيضا بهذه الكلمة حيث كان الجدار الدائرى مجرد سياج حول الكومة أو الركام أو الحجارة المرصوصة المبنية التى تغطى القبر . ولكن الأكثر وضوحا أن هذه المقابر فى المنطقتين شمال البحر المتوسط وجنوبه قد اتفقت جميعا فى تخطيطها الدائرى طوال عصورها التاريخية القديمة .

وبالاضافة الى التخطيط الدائرى قد توفرت أيضا عناصر معمارية أخرى ربما توضح هذا التشابه بين النوعين من المقابر ، وهى الحجرات الصغيرة المستطيلة التى بنيت عند المداخل الشرقية أو الجنوبية الشرقية ، بصفة عامة ، لهذه المقابر بغية تقديم القرابين أو تأدية الطقوس الدينية .

ويذكر أوريك بيتس عند الحديث عن هذه الحجرات فى مقابر « المجموعة ج » ، أنه على الجانب الشرقى أو الجنوبى الشرقى توجد بصفة منتظمة حجرة بنيت من الطوب اللبن مخصصة لتقديم القرابين (شكل ٢) ، حيث كانت توضع الأوانى الفخارية الجنائزية ، باستثناء بعض الأوانى التى تحمل زخارف جيدة ، والتى ربما بسبب قيمتها الفنية كانت توضع فى القبر مع الحلى الشخصية وأدوات الزينة (٣٧) . وفى المقابر التى انتشرت فى شمال أفريقيا وخاصة فى الجزائر ، يتأكد أيضا وجود هذه الحجرات ، وان كانت عادة فى الجانب الجنوبى الشرقى (٣٨) ، وأما فى مقابر جزيرة المراكب فنجد انها توجد فى الغالب على الجانب الجنوبى . وفى احدى المقابر نجد أن هذه الحجرة عبارة عن أربع لوحات حجرية كبيرة تكون الجدران الأربعة ، ولكن داخل الجدار المحيط نفسه (شكل ٥) . ومرة أخرى نجد أن هذه اللوحات الحجرية التى تحل محل الجانبين والسقف والخلفية قد استبدل بها بناء هذه الجدران بالأحجار وأيضا داخل

---

(٣٧) O. Bates, Loc. Cit.

(٣٨) O. Bates, Loc. Cit.

الجدار المحيط (شكل ٨) (٣٩) • وهكذا يتضح أنه رغم مرور الزمن الطويل ، واختلاف مادة البناء ، وتغيير الموضع ، الا أن هذه الحجرات خصصت بصفة دائمة ولغرض واحد ، هو تقديم القرابين أو تأدية الطقوس الدينية •

وتوجد هذه الحجرات الاضافية أيضا فى مقابر ميسارا • وقد تحدث ايڤانس من حجرة مماثلة ملحقة بمقبرة كوماسا (Kumasa) تعكس تشابها واضحا مع الحجرات المماثلة فى المقابر الليبية (٤٠) • وهى تقع خارج المدخل فى الناحية الشرقية تغطيها كتلة حجرية سميكة (Lintal) ، وهى بمثابة حجرة صغيرة أو صالة خدمت بعض الأغراض الدينية (شكل ٩) (٤١) • أما برانيجان فقد قدم شرحا وافيا لهذه الحجرات المستطيلة الصغيرة التى تمثلت فى مقابر ميسارا ، وهى حجرات تبنى من الأحجار الصغيرة والطمى، ويحتمل أن أقصى ارتفاع وصلت اليه جدرانها لا يزيد عن المترين • ومن المحتمل أنها كانت مسقوفة من أغصان الاشجار والدعامات الخشبية المغطاة بالطمى (٤٢) • والذى يشد الانتباه أن حجمها الصغير لم يتغير رغم الاتساع الكبير لبعض المقابر • ويرى برانيجان أيضا أن الغرض من هذه الحجرات غير معروف ، ولكنه يؤكد أهميتها كجزء أساسى مرتبط بالمقبرة نفسها (٤٣) • ثم يجد نفسه مضطرا للموافقة على وجهات نظر من سبقوه فى أن هذه الحجرات قد خدمت أغراضا دينية أثناء دفن الجثث ، حيث كانت توضع الجثة فيها أولا لاجراء الطقوس الدينية عليها قبل دفنها فى المقبرة (٤٤) •

---

(٣٩) Ibid., p. 248.

(٤٠) A. Evans, Op. Cit.,p.36.

(٤١) Ibid., p. 37, fig. 17, d1 - d3.

(٤٢) K. Branigan, Op. Cit., pp. 93-95, fig. 20.

(٤٣) Ibid., p. 94.

(٤٤) K. Branigen, Loc. Cit.

لا شك فى أن ظاهرة وجود هذه الحجرات فى مقابر ليبيا وميسارا قد فرضت نفسها بوضوح لتثبت التشابه بين مقابر المنطقتين ، فهى رغم تنوعها سواء فى مادة البناء أو تغيير موضعها الا أنها بقيت كعناصر أساسية تضاف الى المقابر الدائرية ، بغية تحقيق غرض معين أقيمت من أجله وهو اقامة شعائر دينية أو تقديم قرابين للموتى • واذا كانت الحجرات بالنسبة لمقابر ميسارا قد التزمت فى الغالب ، الجانب الشرقى أو كانت الحجرات قد تعددت (٤٥) ، مع مرور الزمن ، فان ذلك ربما كان راجعا لظروف محلية، كما حدث فى مقبرة من فورو حيث نجد أن الحجرات قد أضيفت على الجانب الغربى (شكل ١٠) •

يمكننا أن نضيف الى ما سبق عاملا لا يقل أهمية عن التخطيط المستدير ، أو الحجرات الصغيرة التى أضيفت لهذه المقابر ، وهو تقاليد الدفن • فطريقة الدفن الشائعة التى انتشرت فى المقابر الليبية سواء فى مقابر « المجموعة ج » أو غيرها فى شمال أفريقيا ، تتمثل فى وضع الجثث على الجانب الأيمن ، مع جعل الرأس يتجه نحو الشرق ، ويلاحظ أن الركبتين لا تنسحبان نحو الدقن ، بل تتعامد الافخاذ مع السلسلة الفقرية ، وتنثنى الأرجل عند الركبة حتى يلمس العقبان الردفين ، وهو تقليد يطلق عليه عادة الوضع الجنينى (Contracted position) (٤٦) •

وفى مقابر ميسارا أمكن التعرف على طريقتين للدفن ، وقد أمكن التعرف على الطريقة الأولى عند العثور على جثتين كاملتين فى مكانهما ، احداهما فى مقبرة فى هاجيا تريادا (Hagia triada) (٤٧) ، والثانية ،فى

---

(٤٥) K. Branigan, Op. Cit., p. 95, fig. 2, 24.
وهو يرى ان تعدد الحجرات جار نتيجة استخدامها للدفن ايضا فى اوقات متأخرة .

(٤٦) O. Bates, Op. Cit., 246.

(٤٧) S. Xanthoudides, Op. Cit., p. XII, note 2.

مقبرة جبساديس (Gypsades) (٤٨) ، واتضح أن الجثتين فى وضع تنثنى فيه الأرجل عند الركبة وترقدان على الجانب ، أى أنهما فى الوضع الجنينى. أما الطريقة الثانية ، فقد أمكن ملاحظتهـا فى مقـابر لبينـا (Lebena) ويحتمل أنهـا (Extended) حيث وجدت الجثث فى وضع ممدود كانت ترقد على الظهر (٤٩) .

ان تمثيل عادة الوضع الجنينى فى مقابر المنطقتين على جانبى البحـر المتوسط ، لا تقودها فقط الى الاعتقاد بالتأثيرات المتبادلة بين ميسـارا والساحل الليبى أو الصلات المباشرة بينهما ، بل هى ظاهرة تعنى فى الواقع هجرات انتقلت من احدى المنطقتين الى المنطقة الأخرى . وربما يسـاعد ذلك على تأكيد الاحتمال الذى طرحه هيجنز ، هو أن ثمة هجرات ليبية الى جنوب جزيرة كريت أدت الى الازدهار السكانى المفاجىء الذى تعكسه مقابر ميسارا ، والتى يرى أنها شيدت فى حوالى ٢٥٠٠ ق.م (٥٠) .

ان هذه الأدلة التى تعكسها الشواهد الأثرية ، رغـم وجود بعض الاختلافات المحلية التى مرت بنا فى تشييد المقابر والحجرات التى تضـاف انيها ووجود أكثر من طريقة للدفن ، تشير الى وجود عوامل أسـاسية مشتركة تجمع بين مقابر ميسارا والمقابر الكريتية . وتتركز هذه العوامل كما ذكرنا فى التخطيط الدائرى ، والوجود الدائم للحجرات الملحقة بهذه المقابر بغية تحقيق غرض واحد وهو اقامة الطقوس الدينيـة أو تقـديم القرابين، وكذلك التزام طريقة الدفن الأساسية وهى طريقة الوضع الجنينى.

بقيت نقطة هامة وهى التاريخ ، وقد أثارها برانيجان حيث يذكر أن المقابر الليبية ترجع الى وقت متأخر جداً عن الألف الثالثة ق.م :

(... they are thought to be very much later in date than the third millenium B.C.).

---

(٤٨) K. Branigan, Op. Cit., p. 86.

(٤٩) Ibid., pp. 86 - 88.

(٥٠) R. Higgins, Minoan and Mycenaean Art (1967), p. 17.

وهو نفس التاريخ الذى يؤرخ به مقابر ميسارا (٥١) . ولا شك أن برانيجان وقع تحت تأثير المقابلات التى عرضها سير آرثر ايفانس ، فقد قابل بين مقابر ميسارا وبين بعض المقابر المتأخرة فى شمال أفريقيا وخاصة فى الجزائر وجزيرة المراكب فى خليج بومبة ، الى جانب مقابر « المجموعة ج » التى أرجعها أوريك بيتس الى نهاية الدولة القديمة . ولكن وجهة نظر ايفانس توضح أنه بالرغم من تطور هذه المقابر الليبية حتى وقت متأخر ، الا أنها حافظت على تقاليدها الليبية الموروثة فى التخطيط الدائرى وعادات الدفن ، لذا عرض نماذج من هذه المقابر توضح رحلتها التاريخية والتطورات التى مرت بها .

ولا شك أن استمرار هذه التقاليد لعصور طويلة فى منطقة تشمل النوبة الوسطى وشمال أفريقيا ، هى فى حد ذاتها تعنى أصالتها الليبية ، بل ترجع جذورها الى ما قبل الدولة القديمة (٢٧٨٠ ــ ٢٢٨٠ ق.م) ، وما مقابر « المجموعة ج » الا نموذج فقط ، من عهد الدولة القديمة ويستمر بكل تقاليده حتى الدولة الحديثة فى النوبة انوسطى .

فى الواقع أن الذى يتأمل النشاط الحضارى الذى ازدهر على شواطىء البحر المتوسط ، يلمس التداخل الكبير ، فى كثير من الأحيان ، بين الحضارات التى نشأت على هذه الشواطىء ، وذلك نتيجة العوامل الطبيعية التى أدت الى سهولة المواصلات فيما بينها . وأهم هذه العوامل هو تقارب سواحل هذا البحر ، وكثرة الجزر التى تنتشر فى أرجائه والتى شكلت نقطا ارتكازية ملاحية بين هذه السواحل أيضا ، كذلك كثرة الانحناءات والتعاريج التى أدت بدورها الى وجود موانىء طبيعية وأماكن لحماية السفن . وقد أدى ذلك الى تشجيع السكان على ركوب البحر منذ وقت مبكر ، وبالتالى الى سلسلة من حلقات الاتصال والاحتكاك بين

---

(٥١) K. Branigan, Op. Cit.. p. 143.

السكان على شواطىء هذا البحر (٥٢) .

وسواحل جنوب جزيرة كريت تتميز بعدد من المرافىء والموانىء الصغيرة الطبيعية والتى لا تبعد كثيرا عن الساحل الليبى ، الذى تميز هو الآخر بهذه المرافىء والموانىء الطبيعية كما قدمت فى بداية هذه الدراسة . ولا شك أن هذه العوامل الطبيعية قد ساعدت على الالتقاء بين سكان المنطقتين منذ وقت لم تكن تعرف فيه الا السفن الصغيرة ذات المجاديف ، وخوف الانسان من التعرض للعواصف فى عرض البحر بعيدا عن الشواطىء القريبة .

ويبدو واضحا أيضا من أقدم المصادر الإغريقية الأدبية أن هذه كانت الطريق الأولى التى ربطت اليونان وجزر بحر ايجه بالساحل الليبى . فقد ورد اسم ليبيا فى أوديسية هوميروس فى مناسبتين ، المناسبة الأولى : عندما يتعرض مينيلاءوس لذكر البلاد التى زارها أثناء مخاطراته ، وكانت ليبيا ضمن هذه البلاد (٥٣) . وبقى صدى رحلته يتردد على الساحل الليبى ، حتى حدثنا هيروروت فى القرن الخامس ق.م عن « مينيلاءوس (٥٤) » (بردية) ، وورد أيضا ذكر هذا الميناء فى الكتاب المنحول للجغرافى سكولاكس (٥٥) . كذلك تردد اسم تينداريوس صهر مينيلاءوس حيث

---

(٥٢) حول هذا الموضوع انظر :
لطفى عبد الوهاب يحيى / دراسات فى حضارة اليونان الرومان ، ١٩٦٨ ، صفحات ٢٤ ـ ٢٧ .

(٥٣) Ody. IV, 85 ff.

(٥٤) Herodotos, IV, 169.
انظر ايضا :
ابراهيم نصحى ، انشاء قورينى وشقيقاتها ، منشورات الجامعة الليبية، ١٩٧٠ ، ص ٢٤ .

(٥٥) Ps. - Scylax, Periplus, 107.
انظر ايضا :
ابراهيم نصحى ، المرجع السابق ، ص ٢٥ .

أطلق على منحدر جبلى على نفس الساحل غربى سيدى برانى وأصبح يعرف باسم « صخور تينداريوس (٥٦) » . ويحدد هيرودوت ميناء مينيلاءوس الى الشرق من جزيرة بلاتيا (٥٧) ، محطة الوصول الأولى للاغريق على الساحل الليبى عندما شرعوا بعد ذلك بسنوات عديدة لانشاء مستعمرتهم الاولى قورينى (٦٣١ ق٠م) والمناسبة الثانية : عندما يروى أوديسيوس مخاطراته ويذكر أن أحد الفينيقيين عرض عليه أن يقوما معا برحلة الى ليبيا ؛ لكن سفينتهما تحطمت بالقرب من جزيرة كريت (٥٨) .

ولم يكن هوميروس على دراية فقط بالساحل الليبى وتعاريجه ، بل كان أيضا على دراية بالوضع الاقتصادى فى البلاد . فهو عندما يترك مينيلاءوس يصف ليبيا يتحدث عن الخراف التى تولد بقرون طويلة ، والنعاج التى تلد ثلاث مرات فى العام الواحد (٥٩) ، وأن الجميع سواء السادة أو الرعاة لا يعوزهم اطلاقا الجبن أو اللحم أو اللبن الجيد (٦٠) .

واذا كانت الدراسات الحديثة قد حددت الوقت الذى صاغ فيه الشاعر هوميروس ملحمتيه الالياذة والأوديسية بحوالى منتصف القرن التاسع ق٠م (٦١) ، وان الشاعر قد وضع ملحمته من التراث الشعبى الذى توارثته الاجيال ، ومينيلاءوس وأوديسيوس من الملوك الذين اشتركوا فى حرب طروادة ، التى أثبتت الدراسات الاثرية أن أحداثها جرت فى بداية

---

(٥٦) Ps. - Scylax, Periplus, 107.

(٥٧) Herodotos, IV, 157 ; See also Arthur Evanas, Op. Cit., note 2, p. 37.

(٥٨) Ody., IV, 85 ff.

(٥٩) Ody., IV, 85 ff :

(٦٠) Ody., XIV, 225 ff.

انظر ايضا :

ابراهيم نصحى ، المرجع السابق ، ص ٢٤ .

(٦١) لطفى عبد الوهاب يحيى ، هوميروس ، تاريخ حياة عصر ، ١٩٦٨ ، صفحات ٣٥ ـ ٤٠ .

القرن الثانى عشر ق.م (٦٢) ، بل ان المصادر المصرية قد أكدت شهرة ليبيا بتربية الأغنام قبل اشعار هوميروس بزمن طويل (٦٣) . اذا فمن الواضح أن قصص ليبيا كانت ضمن التراث القديم الذى تحدث عنه الشاعر ، وأن معرفة الاغريق بليبيا ترجع لفترة أقدم بقرون عديدة من الوقت الذى عاش فيه هوميروس . وبذلك كانت قصص مينيلاءوس وأوديسيوس تساعد بوضوح الاعتقاد بأن الطريق التى سلكته فيما بعد الهجرات الاغريقية من جزيرة ثيرا عن طريق كريت الى ليبيا (٦٤) ، كانت طريقا تقليدية معروفة منذ أقدم العصور ، عندما نشأت الصلات الأولى بين القبائل الليبية وسكان جزيرة كريت .

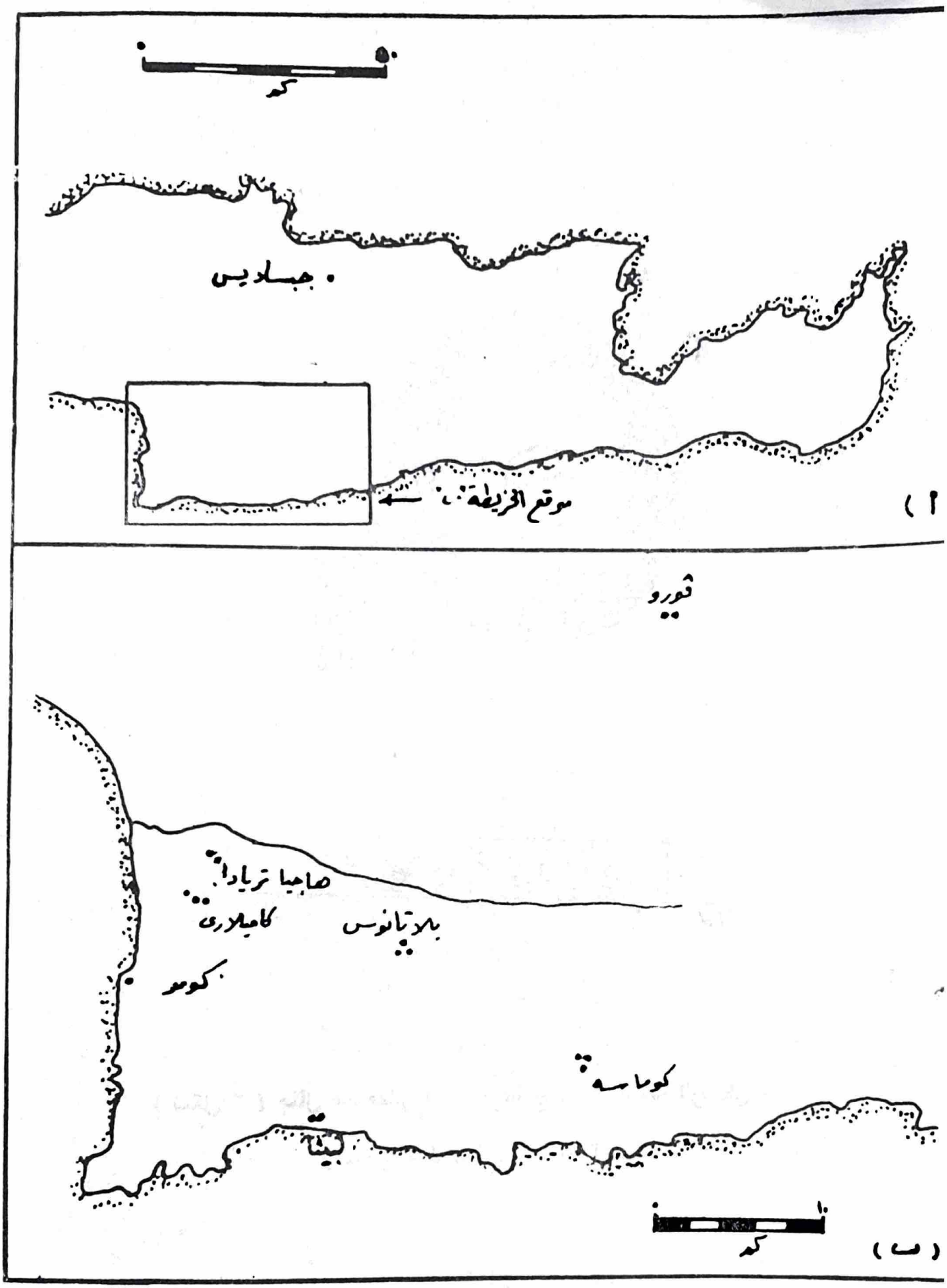
كان من المفروض أن نتحدث أيضا عن المخلفات الأثرية التى اكتشفت فى مقابر ميسارا ، فقد ثبت أنها تحمل فى معظمها ملامح المنتجات فى شمال أفريقيا ، وخاصة ليبيا ومصر ، والتى عبرت البحر المتوسط عن طريق الساحل الليبى ، فى هذه الفترة . ولكنى رأيت أن ينفرد هذا الموضوع بدراسة منفصلة لاحقة حتى يخرج فى شكل متكامل ، يلقى ضوءا واضحا، مع تخطيط المقابر وعناصرها المعمارية وطريقة الدفن ، على طبيعة التأثيرات الليبية فى مقابر جنوب جزيرة كريت ، وبالتالى فى الحضارة المينوية الأولى، فى الألف الثالثة ق.م.

---

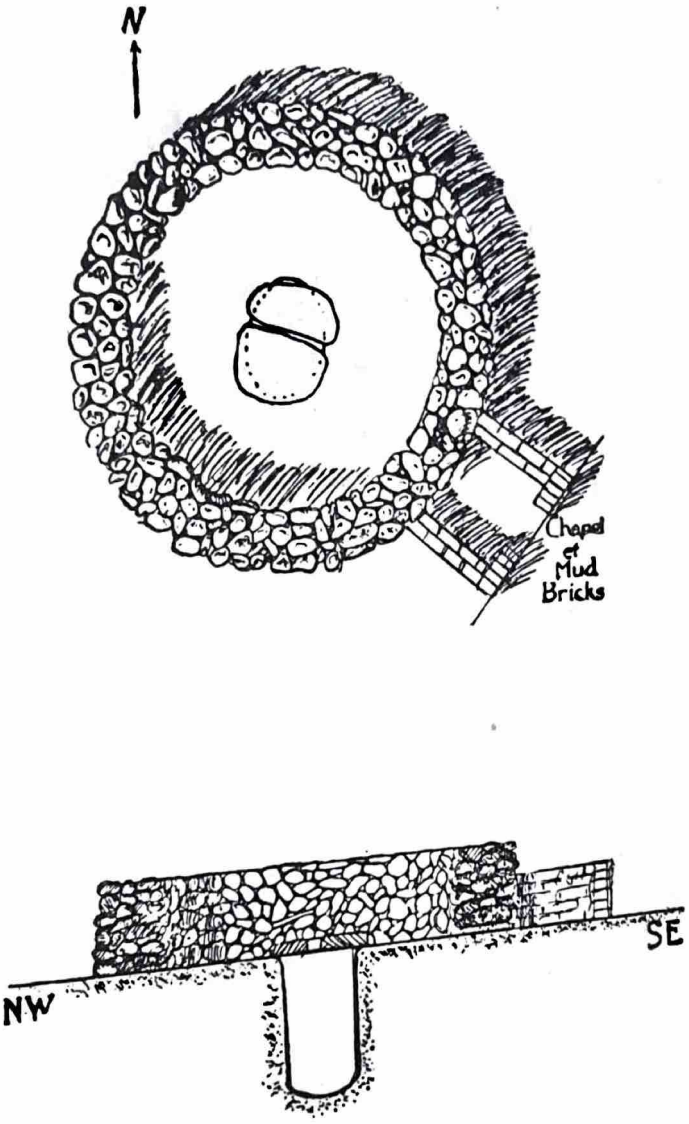
(٦٢) لطفى عبد الوهاب يحيى ، المرجع السابق ، ص ٢٦ ، ملاحظة رقم ٢ وتشير ايضا بعض الادلة الاثرية على ان الليبيين كانوا يعملون فى هذه الفترة بنشاط كوسطاء فى تبادل السلع التى كانوا يأتون بها من اواسط افريقيا ومصر مع منتجات جزر بحر ايجه ، انظر : مصطفى عبد العليم، دراسات فى تاريخ ليبيا القديم (١٩٦٦) ، ص ٣٥ .

(٦٣) O. Bates, Op. Cit., p. 95.

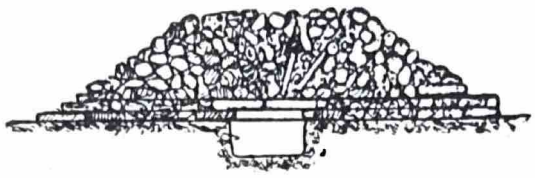
(٦٤) Herodotos, IV, 150 - 157 ;
يذكر هيرودوت أن كوروبيوس ، أحد مواطنى جزيرة كريت هو الذى قاد المهاجرين من جزيرة ثير الى الساحل الليبى ، نظرا لدرايته بالطريق. انظر ايضا : ابراهيم نصحى ، المرجع السابق ، ٣٥ .



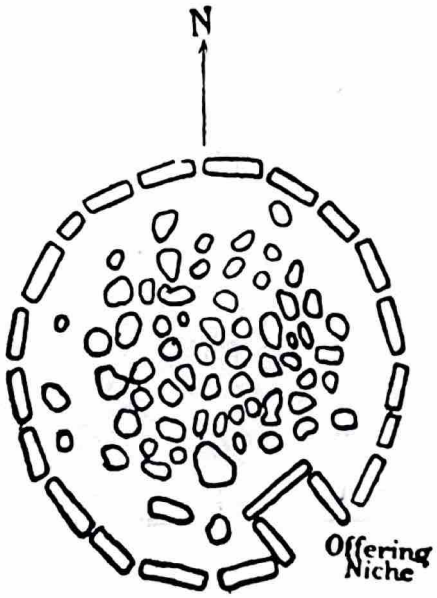
(شكل ١) خريطتان « ا ، ب » توضحان انتشار بعض المقابر في سهل ميسارا



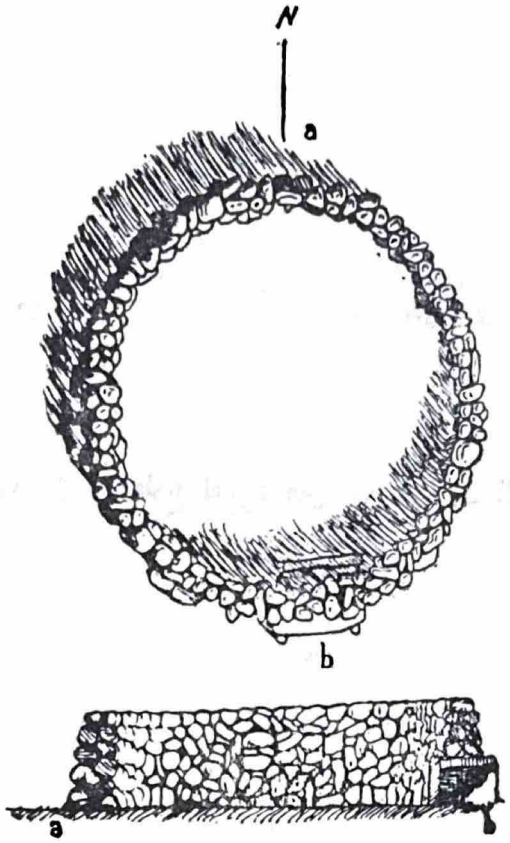
(شكل ٢) مثال من مقابر « المجموعة ج » من النوبة الوسطى ،
ويشمل تخطيط المقبـرة وقطاعهـا

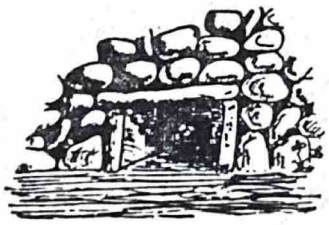


(شكل ٣) قطاع لمقبرة عين سـفرة ـ الجزائر

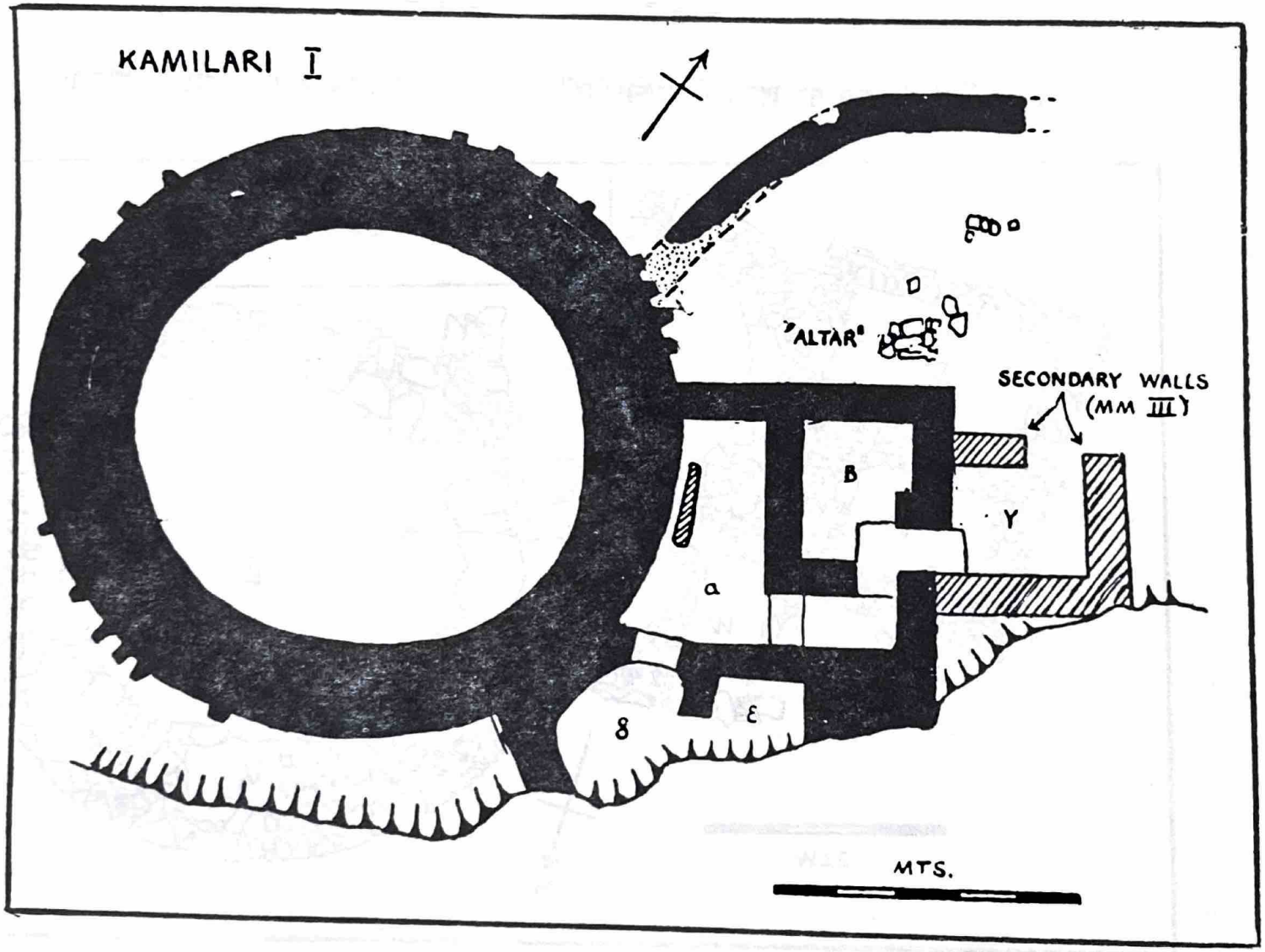


(شكل ٤) تخطيط لمقبرة من شرق الجزائر

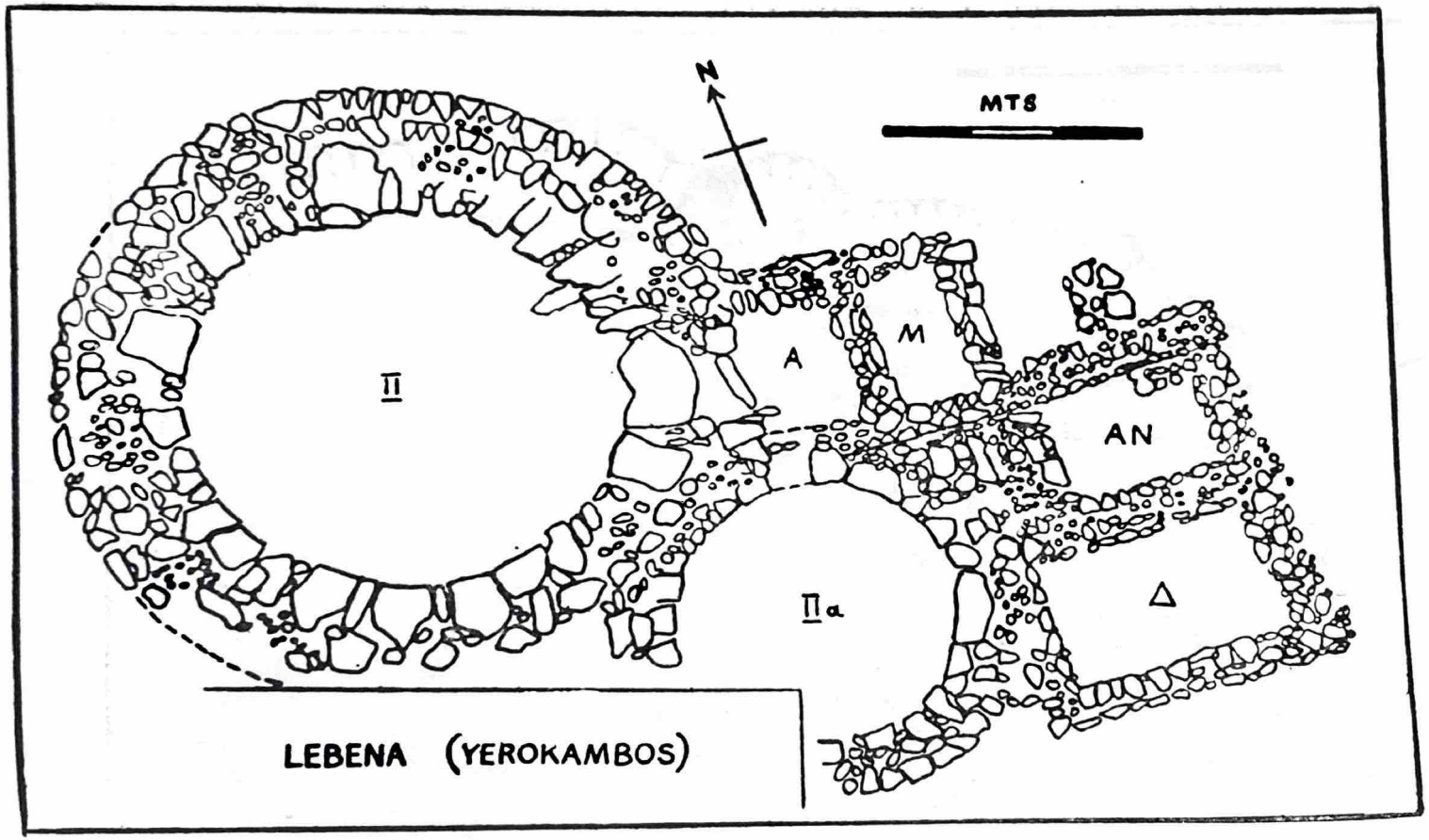




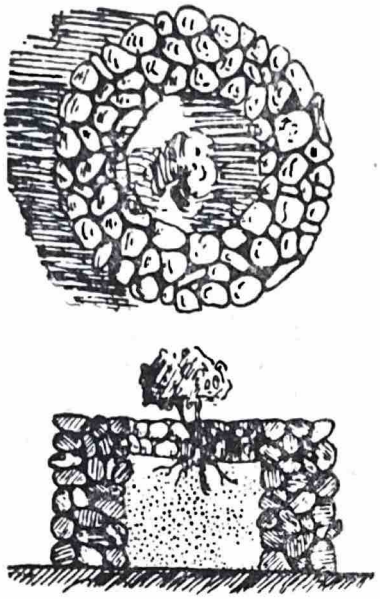
(شكل ٥) مثال من مقابر جزيرة المراكب ، فى خليج بومبة ،
ويشمل التخطيط والقطاع والحجرة الامامية



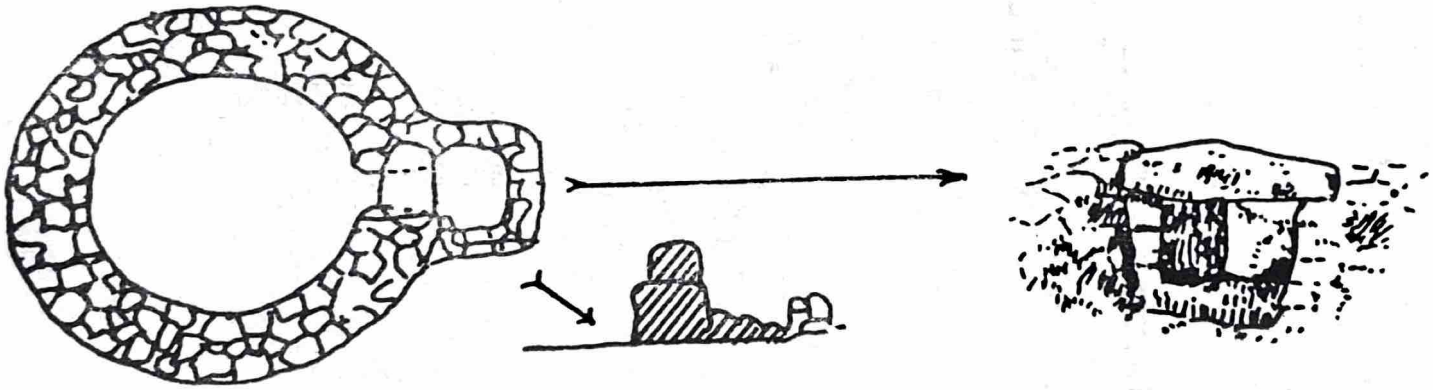
(شكل ٦) تخطيط لاحد امثلة مقابر كاميلاري ـ ميسارا



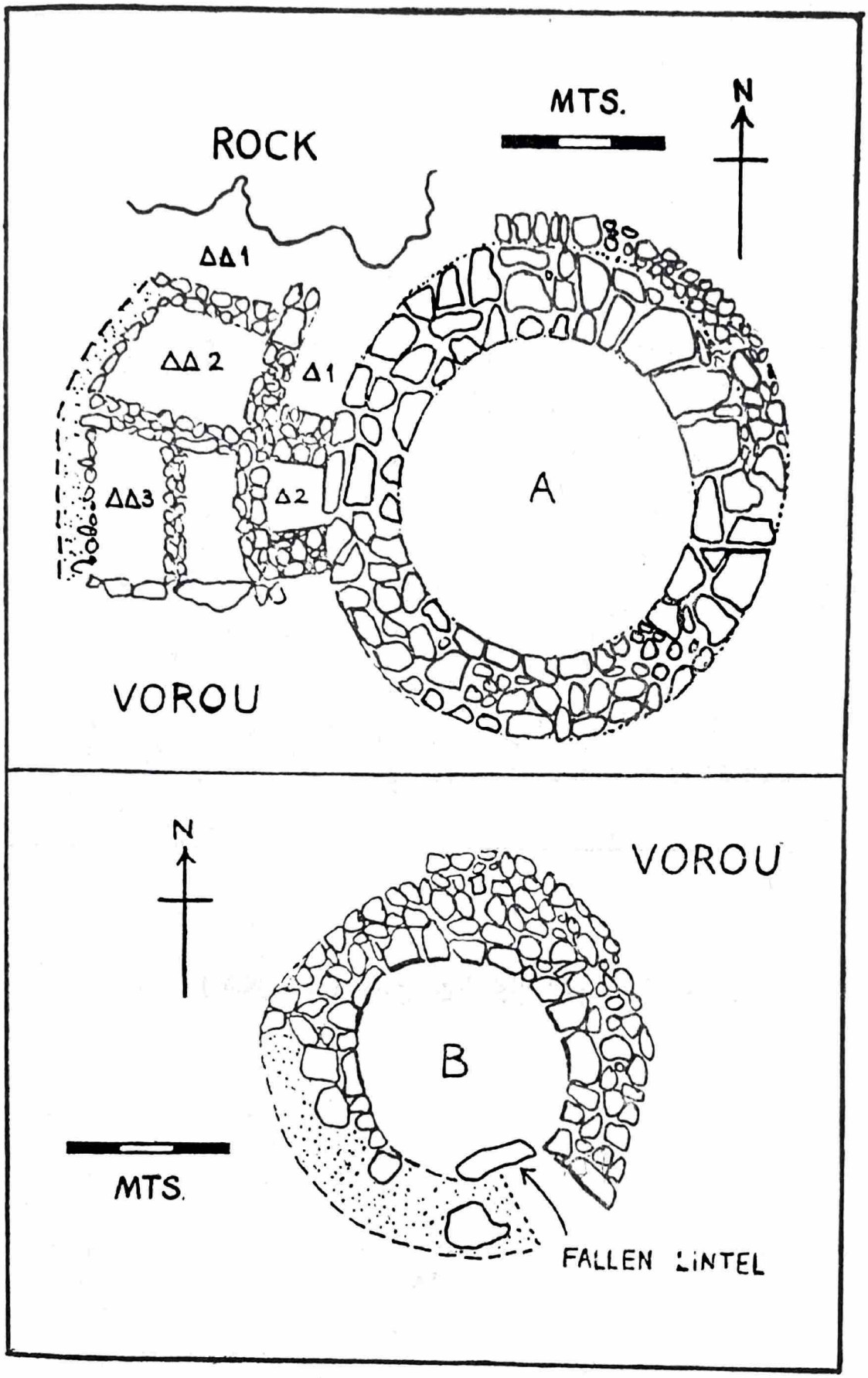
(شكل ٧) تخطيط لمقبرتين متجاورتين والحجرات الاضافية من لبينا ـ ميسارا



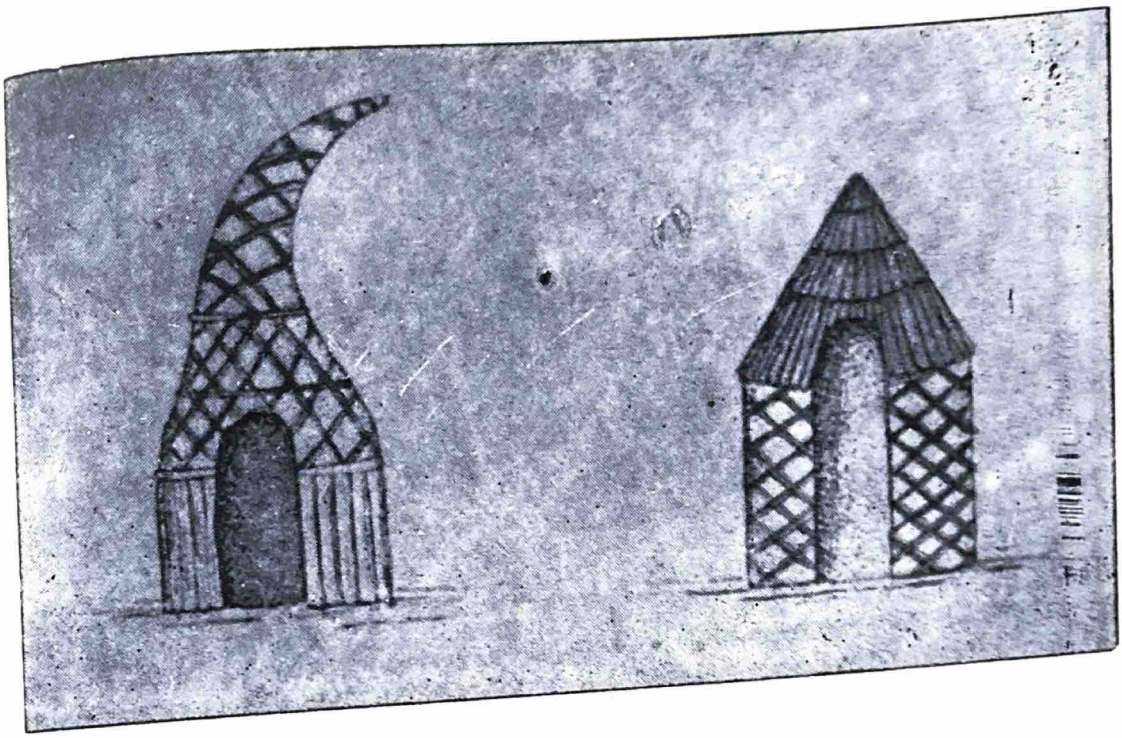
(شكل ٨) تخطيط لمثال من مقابر جزيرة المراكب ، ويشمل التخطيط والحجرة الاماميـة



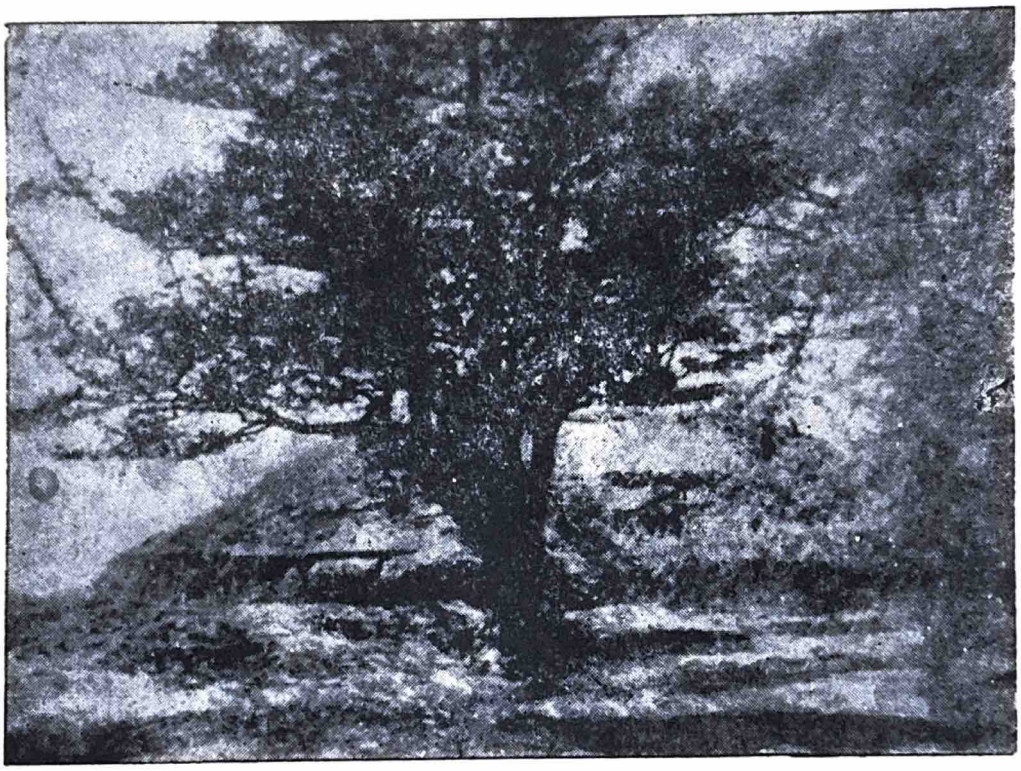
(شكل ٩) تخطيط لمقبرة كوماسة ويشمل المقبرة وقطاع للمدخل والمدخل ـ ميســارا



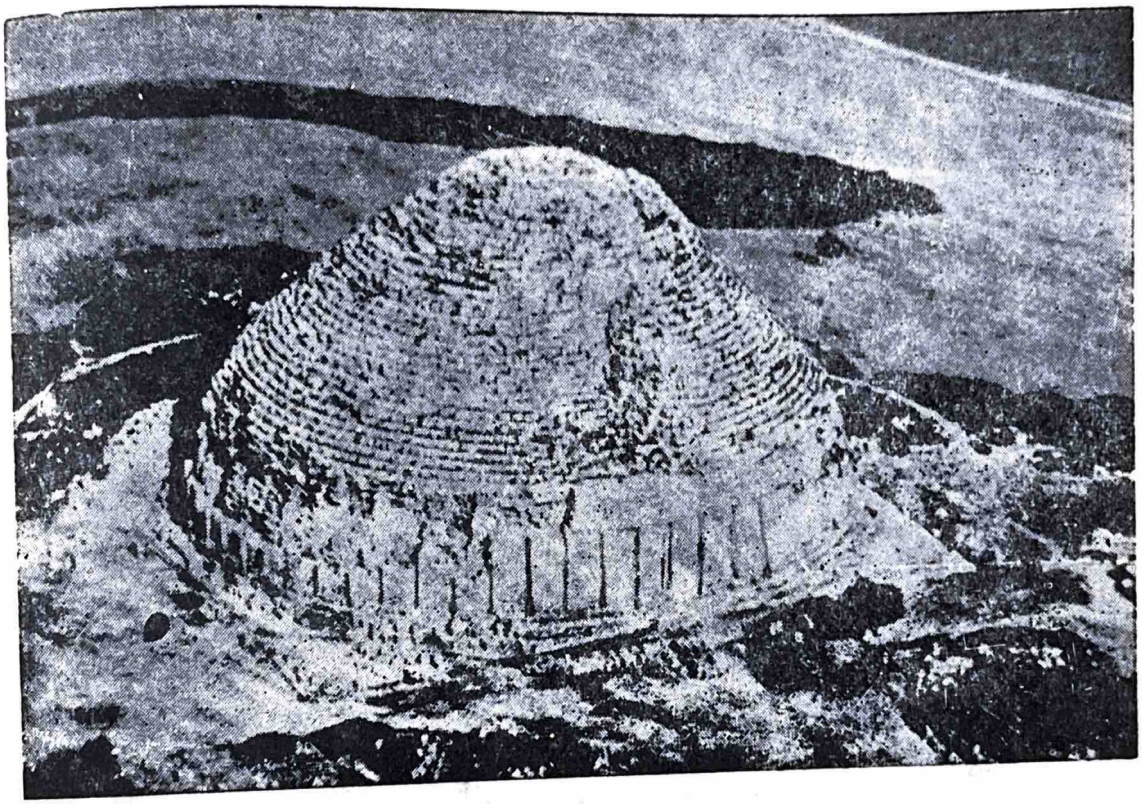
(شكل ١٠) تخطيط لمقبرتين من فورو ـ ميسـارا



(شكل ١١) نماذج من الاكواخ الليبية (المباليـا)

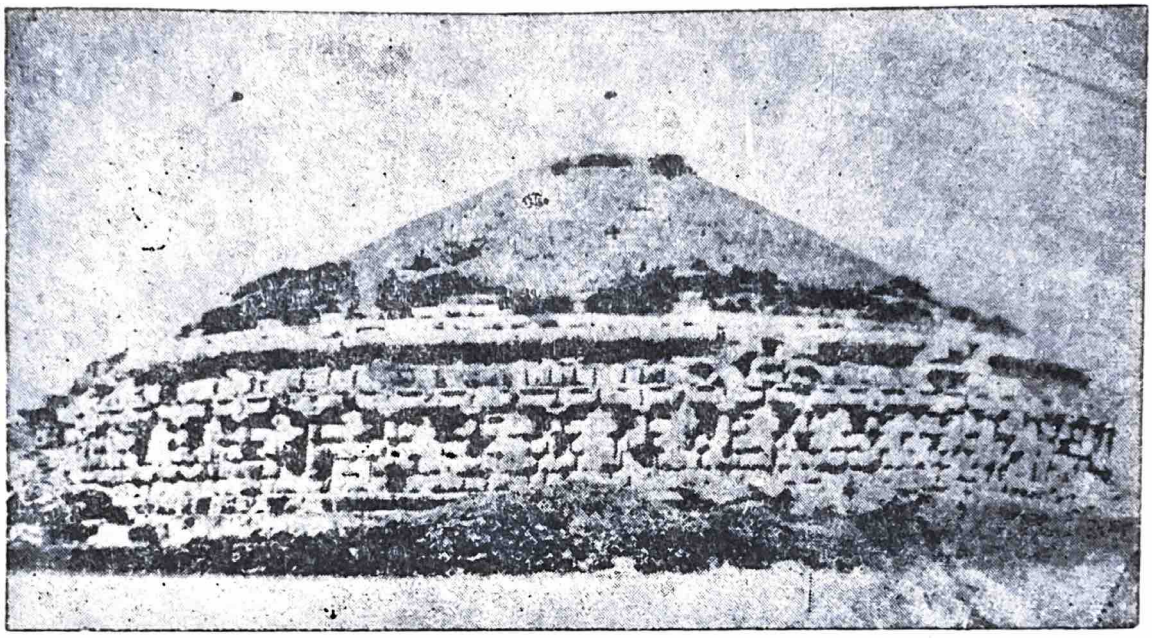


(شكل ١٢) منظر عام لمقبرة مسـه بقورينائة



(شكل ١٣) منظر عام للمقبرة التى تدعى

Tombeau de la Chrétienne بالجزائر



(شكل ١٤) منظر عام لمقبرة ميدراسن ـ الجزائر